ظاهرة العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي

الاستاذ المساعد الدكتور
حبيب عبد القادر محمود الشاوي(*)

المقدمة

ان ماشهده العالم وحتى يومنا هذا من تطور في الصياغات والمفاهيم المتعلقة بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. واتخاذها صيغا واشكالا متعددة، منها الصراع التاريخي بين الشرق والغرب او ظهور القطبية الثنائية التي تمثلت بالمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، او كانت هناك سياسات مختلفة تظهر وتختفي حسب مقتضيات الاوضاع الدولية القائمة، كسياسة الوفاق الدولي، او سياسة الانفراج، او سياسة الاحتواء والاحتواء المزدوج، او ماسمي بالامن المستعاد، او الصراع بين دول الشمال ودول الجنوب[1]. او الخصخصة، او ماسمي في الوقت الحاضر بالنظام الدولي الجديد، او العولمة، فكل ذلك انما يؤشر بشكل واضح الى هدف واحد، الا وهو تحقيق مصالح انية وتكتيكية او استراتيجية بعيدة المدى لخدمة دول الغرب وعلى رأسها الامبريالية الامريكية وحليفتها الصهيونية العالمية، وقد تهيأ للولايات المتحدة الامريكية الطرح الامثل والظرف الموافي للتربع على عرش النفوذ العالمي وتبؤ مكان الصدارة في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ودول المنظومة الشيوعية مع بداية عقد التسعينات من القرن المنصرم. ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى الى بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري والحضاري على العالم، وتولي مركز القيادة الواحدة، والمطلقة في ادارة شؤون العالم بكل امكانياتها وفي مثل هذا الوضع الذي ساد العالم برز مايسمى (بالاحادية القطبية) ذات الطابع الامريكي، ومصطلح العولمة في مفهومه الشائع، ليكون على وجه الخصوص مرادفا لجميع هذه المتغيرات الحقيقية وتوصيفا لانعكاساتها على جميع الانشطة الحياتية في العالم، حين تمكنت هذه الاحادية من التحيل في وضع النظم والقوانين وايجاد المؤسسات المختلفة لتحويل العولمة من اطارها الاقليمي الى اطارها الكوني الشامل، وبهذا فقد طرحت نظرية العولمة

(*) رئيس قسم النظم السياسية في كلية العلوم السياسية –الجامعة المستنصرية

[1] المقصود بدول الشمال هي الدول الصناعية الكبرى الثمان (الولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا، فرنسا، المانيا، كندا، اليابان، ايطاليا، روسيا الاتحادية) اما دول الجنوب فهي كافة دول العالم الثالث والدول النامية.

كأيديولوجية للهيمنة الغربية والتي تدعو الى احلال القيم والمؤسسات وانماط
الامريكية الغربية في مجال شؤون الحياة محل القيم والمؤسسات والثقافات الا
للمجتمعات الانسانية الاخرى وتحقيق النموذج الغربي في الحياة وفرضه بمخ
الوسائل والسبل على هذه المجتمعات، وقد استخدمت لهذا الغرض جميع وسائل الا
المختلفة والفكر والتوجيه والمعلومات لفرض سيطرة العولمة على جميع شعوب العا
وهي في واقعها (امركة) البشر جميعا. فمثل هذا التوجه انعكس على كافة دول العا
عموما وعلى اقطار الوطن العربي بشكل خاص، وذلك لما تمتاز به هذه الاقطار من
موقع ستراتيجي وثروات هائلة، بل ان اقطار الوطن العربي معرضة لتحمل اعب
انعكاسات العولمة اكثر من غيرها من مناطق العالم الاخرى. لكونها هدفا استراتيج
لمختلف القوى العالمية الفاعلة من جهة ولضعف تماسك نظامها الاقليمي وتفاو
ولاءاتها الاقليمية والدولية من جهة اخرى. وبذلك يصبح بالامكان سهولة اختراقه
اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وهذا بطبيعة الحال يشكل تحديا خطيرا وكبيرا على
مستقبلها ووجودها، وقد جاءت اهمية موضوع البحث عندما نتوقف من اجل تحديد
رؤية عربية لهذا الموضوع ذو الاهمية الخاصة كمحاولة متواضعة للتعرف على حقيقة
ظاهرة العولمة بكل تجلياتها التي ظهرت في السنوات الاخيرة ومن ثم انعكاسات هذه
الظاهرة السلبية والايجابية منها على اوضاع اقطار الوطن العربي والتي اصبحت مثار
جدل ونقاش من قبل الكثير من المختصين والباحثين فيها، فالاقتصاديون والسياسيون
وعلماء الاجتماع وحتى المعماريون يتحدثون عنها بلهجات مختلفة وينظرون اليها من
زوايا واتجاهات متباينة، ورغم كل ذلك لم يستطيعوا التوصل الى حقيقتها الكاملة
وهذا ماظهر عندما بدأت ظاهرة العولمة تفعل فعلها على ارض الواقع في هذا الكون
ومنذ سنوات، لانها لم تعد مجرد مفهوم يتداوله اصحاب العلاقة وانما اصبحت ممارسة
يومية وعملية مستمرة ودائبة تنمو وتتطور مع مرور الوقت وعلى كافة الاصعدة
والمستويات.

ولغرض الاحاطة بمجمل التفاصيل التي يتطلبها موضوع البحث فقد تم تقسيمه
الى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسية، تناولت في المبحث الاول التعريف ببعض مفاهيم
العولمة المتداولة وجذورها التاريخية، وفي المبحث الثاني تناولت مضامين وابعاد
العولمة سواء اكانت منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، اما بالنسبة
للمبحث الثالث والاخير فقد تناولت فيه انعكاسات جميع مضامين وابعاد العولمة على
جوانبها المختلفة على اوضاع اقطار الوطن العربي ثم خاتمة البحث.

اتمنى ان اكون قد وفقت في هذا المسعى العلمي المتواضع ومن الله التوفيق

المبحث الأول
التعريف بمفاهيم ظاهرة العولمة
جذور العولمة التاريخية:

لقد سبق ظهور العولمة افكار واتجاهات سياسية دولية كانت تحاول تجاوز مسألة حدود الدولة القومية واختصاصات السيادة، وتطمح الى ايجاد صيغ مشتركة بين الثقافات والحضارات على اختلافها، وايجاد سبل للحوار والتعاون وحسب مقتضيات المصالح المشتركة، وقد حاول المبشرون بتلك الافكار والاتجاهات اضفاء صبغة العالمية عليها والسعي للتستر على ماعداها من دعوات وافكار.

وقد ظهرت في هذا الموضوع بعض الدراسات التاريخية والسياسية التي اشارت الى ان جذور العولمة موغلة في القدم وتعود مؤشراتها الى حقب تاريخية اقدم بكثير من مجرد الاسترشاد بالاستكشافات الجغرافية الاوربية التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي. في الوقت الذي نجد فيه البعض الاخر يعتبرها قديمة ايضا، اي تعود لعدة قرون مضت ومنذ ان بدأت الاستكشافات الاوربية في اوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وهي وثيقة الصلة بالتطورات التكنولوجية في المجال الاقتصادي والتجاري، منذ اختراع البوصلة وحتى عصر الاقمار الصناعية[٢]. بينما يعتبرها البعض ان بداياتها الاولى تعود الى القرن التاسع عشر مع بدء الاستعمار الغربي لاسيا وافريقيا والامريكيتين، وقد اقترن ذلك بتطور النظام التجاري الحديث في اوربا الامر الذي ادى الى ولادة نظام عالمي متشابك الاوضاع ومعقد بتفاصيله الحيوية عرف بالعالمية ثم بالعولمة[٣]، الا اننا نجد من جانب اخر هناك اجماع بين الباحثين والمختصين على ان العولمة قد بدأت في اوربا تحديدا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي وعند ظهور دول معينة في ذلك الوقت كاسبانيا والبرتغال وكذلك هولندا وبريطانيا ثم حصول تغير وتحول في قيم التجارة، حيث جاءت العولمة في ثوبها الاوربي، وما تمخض عن ذلك من استعمار لدول العالم الاخرى.

فالعولمة ليست بظاهرة جديدة، انما هي قديمة بقدم القيم الرأسمالية ومؤسساتها المنبثقة عن هذه القيم، وان الاهتمام المتزايد بها وبالذات في اواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين انما جاءت بشكل واضح نتيجة لانهيار المنظومة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي. وبالتالي تبؤ الولايات المتحدة الامريكية القطب

---

٢ سمير امين ، العولمة والدولة، ملف العرب والعولمة، المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٨٨، شباط ١٩٩٨، ص٢٣.

٣ احمد مصطفى عمر، اعلام العولمة وتاثيره على المستهلك، نقلا عن مجلة (الاسلام الوطني)، مجلة العربي، العدد١٣٨، حزيران ١٩٩٨، ص٧٠.

المهيمن فيما يسمى بالنظام الدولي الجديد. وقد تزامن مع هذه المتغيرات التطور الكبير الحاصل في المجال التقني والتكنولوجي ودخول العالم عصر الشبكات والمنظومات المعلوماتية.

فالعولمة مصطلح جرى تسويقه من قبل الدول الرأسمالية الكبرى ويعتبر احد الوسائل التي تستخدمها هذه الدول في الوقت الحاضر من اجل استعباد واستغلال الشعوب مثله مثل مرحلة الاستعمار في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع ان ذلك لايختلف عن مرحلة الانتداب التي انشأتها عصبة الامم في عصر العشرينات من القرن الماضي، ولايختلف عن مرحلة الاستقطاب الدولي واقامة الاحلاف العسكرية الدولية التي كانت ابرزها الحرب الباردة التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) واصبحت بذلك العولمة هي المرحلة المتممة لكل هذه الاوضاع التي مرت بالعالم[4].وبهذه الصورة فأنها تعتبر نتيجة طبيعية ناجمة عن التطورات الدائمة بقوة في عالم اليوم نحو قيام نظام جديد تتغير تبعا الى الخصائص والوظائف التي يقوم عليها هذا النظام[5].

ومع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الكتابات والاحاديث عن العولمة على المستوى الاوربي، فنجد من بين هذه الكتابات والاحاديث من يؤيدها بشكل مطلق لانه يجد فيها الرفاهية والرخاء والحرية الفردية المطلقة. ومنهم من يراها شر مستطير، وانها مصيبة ستحل بالبشرية ان عاجلا او اجلا، فهذا الانقسام لم يكن مقتصرا على الكتابات والاحاديث المختلفة فقط وانما اصبح الانقسام ظاهرا بين الدول والمنظمات بين مؤيد ومعارض، ففي جانب الدول المؤيدة وهي الدول الكبرى على رأسها الولايات المتحدة الامريكية التي تسعى الى السيطرة على الاخرين وان تصبح العولمة هي القدر المحتوم على البشرية الذي لابديل له عنها، بينما تقف في الجانب الاخر دول ومنظمات تعمل وتناضل من اجل افشال هذا الاتجاه الامبريالي، وجعل العالم يقوم على التعاون الدولي النزيه من اجل السلام والامن والاستقرار والسيادة لدوله ومن ثم احترام خياراتها الوطنية واستقلال قرارها والحفاظ على خصوصياتها الوطنية والقومية وثقافتها الاصيلة. وهناك في نفس الوقت انقساما واضحا بين المنظمات التي انشأتها وتقوم على انشائها الدول الكبرى، والتي تقوم على تسخير امكاناتها الهائلة والواسعة لتنفيذ مآربها في السيطرة والاستغلال، وبين منظمات تسعى

---

[4] حميد حمد السعدون، العولمة والدول النامية، مجلة دراسات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام، ليبيا، العدد الرابع، السنة الاولى، ١٩٩٩، ص٥٢.

[5] حسن جوهر، منطقة الخليج بين ضغوطات العولمة الاقتصادية وتحديات التكامل الاقليمي، السياسة الدولية، العدد ١٤٤، السنة ٢٠٠١، ص١١.

بكل جهدها لتكوين رأي عام ضاغط يجابه ويواجه هذا التوجه الذي يريد بكل قوة واندفاع ان يهدم كل ماهو وطني وقومي وانساني[٦].

- بعض مفاهيم العولمة المتداولة

ان ظاهرة العولمة التي نتجت عن مخاضات الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتقني والاعلامي والتي كانت تعتمد كلها على طبيعة الاوضاع الدولية بشتى عواملها المتضاربة وظروفها المتناقضة، مما جعل هذه الظاهرة تمتاز بصعوبة حصر تعريفاتها وتفسيراتها، ذلك لانها من الناحية العملية ظاهرة متعددة الوجوه وذات استمرارية، الا ان هذا الغموض الذي يكتنف جوهر العولمة وتفاصيلها الدقيقة لم يمنع المختصين والمهتمين بمثل هذه الامور من تحديد الخطوط العريضة والرئيسة واهم الملامح المرتبطة بهذا المصطلح القديم الجديد.

فمصطلح العولمة يمكن استخدامه بصيغة المصدر، أي تكون دالة على الممارسة والفعل، وبذلك تقابلها بالانكليزية كلمة (Globalization) وتستخدم كذلك بصيغة اسمية فتدل على الظاهرة، وتقابلها بالانكليزية كلمة (Globalism)[٧] ويرادف مصطلح العولمة في اللغة الفرنسية (Mondialesation) حيث تم ترجمة هذا المصطلح الى العربية تحت مصطلحات عدة وهي: الكونية، الكوكبية، العولمة، الكوكبة، الشوملة، السلطة، والليبرالية الجديد... الخ.

وفي ضوء ذلك كله فمن الاهمية بمكان هنا عرض بعض الاراء والافكار حول مفاهيم العولمة المتداولة واغراضها وطبيعتها ومكوناتها وعناصر القوة وادواتها من اكثر من وجهة نظر بالرغم من عدم سهولة تحديد مفهومها بشكل نهائي وثابت احد الان فهي اذن (عدا كونها لاتزال مشروعا الان، فأنها متعددة المعاني والدلالات والمواقف حيث تعكس تعددا في المواقف والمصالح والاهداف، فالاقتصاديون والسياسيون وعلماء الاجتماع والمثقفون من مختلف الاتجاهات يتحدثون عنها بلهجات مختلفة وينظرون اليها من زوايا متباينة لكن ايا منهم لايقف على حقيقتها بصورة كاملة)[٨]. فنجد عالم الاقتصاد ينظر لظاهرة العولمة بمنظور معين. وعالم السياسة ينظر اليها بمنظور اخر، وعالم الاجتماع ينظر اليها بمنظور ثالث وهكذا فالعولمة اصبحت تمثل اكثر من مفهوم واغلبها انما يتعلق بثورة معلومات وتكنولوجيا واعلام وسيطرة...الخ. فها هو الموقف عموما بالنسبة لمصطلح العولمة في الوقت الحاضر،

---

[٦] حكمت عبد الله البزاز، العولمة والتربية، سلسلة افاق (٢٢)، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص٧-٨.

[٧] حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص١٠؛ نقلا عن عز الدين اسماعيل، العولمة وازمة المصطلح ، مجلة المؤرخ العربي،العدد٤٩٨، ٢٠٠٠،الكويت، ص١٦٧.عن نعوم تشومسكي.

[٨] المصدر نفسه، ص١٣.

وعلى جميع هذه المستويات، حيث نجد ان لكل عالم منظاره الخاص الذي ينظر فيه اليها، فمصطلح العولمة ظهر في اول الامر ضمن مجال المال والتجارة والاقتصاد. انه لم يعد مفهوماً اقتصاديا محضا، فالعولمة يجري الحديث عنها الان بوصفها نظام او نسقا ذا ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد[٩].

فالبعض يرى في جوهر معنى العولمة هو (تفكيك الامم والدول والجيوش وتفكيك المجتمع بأسره وتفكيك الفرد وتجريده من القيم والاخلاق والمبادئ الدينية المقدسة)[١٠].

ويرى البعض بأنها ماهي الا (مرحلة جديدة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، ويحدث تلاحم غير قابل للفصل بين المحلي والعالمي، بروابط ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وانسانية)[١١]. ويرى اخر انها (المفهوم الدال على نظام جديد للعالم هي في دور الانجاز-ينظر اليه- من الزاوية الاقتصادية على انه نتاج التطور التي وصلت اليها الرأسمالية حيث تسعى العولمة الى ان تستبدل برأس المال الوطني رأس المال العالمي وما يترتب على ذلك من انقلاب جوهري في شكل العلاقات التي تربط الانسان بواقعه وبالاخرين من جهة تاريخية وميراثه الثقافي والحضاري بصفة عامة من جهة اخرى)[١٢].

وقد عرفها الكاتب الفرنسي (دلفوس) بأنها (عملية التبادل الشامل والاجمالي على مختلف اهداف الكون حيث بمقتضاه يتحول العالم الى محطة تفاعلية للانسانية بأكملها وهي نموذج للقرية الكونية الصغيرة، التي تربط مابين الناس والاماكن ملغية المسافات ومقدمة المعارف دون قيود)[١٣].

ونجد العولمة عند البعض الاخر بأنها: اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقنية ضمن

---

9 محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٣٦.

10 محمد مسعد سماحه، العولمة الامريكية والعولمة البديلة، النور، السنة التاسعة، العدد ٨٥، ١٩٩٨، ص٢٢.

11 بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة ورؤية نقدية، كتاب الامة، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، السنة الحادية والعشرون، العدد ٨٦، ٢٠٠٢، ص٢٢.

12 عز الدين اسماعيل، المصدر السابق، ص١٦٣؛ نقلا عن حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص١٠-١١.

13 عبد الله ابو راشد، العولمة، اشكالية المصطلح ودلالاته في الادبيات المعاصرة، مجلة مواقف دولية، السنة السادسة، العدد ٥٨، ١٩٩٨، ص٥٨.

من رأسمالية حرية الاسواق، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة)[١٤].

ويشير البعض بأن: العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي، بل انها ايضا دعوة الى تبني نموذج معين... وهي ايضا ايديولوجية تعبر بصورة مباشرة عن ارادة الهيمنة على العالم، واقصاء الخصوصي)[١٥].

ويرى احدهم ان العولمة هي مفهوم تجريدي، مفهوم مركب ذو ابعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية.. وفي اطاره يصبح البعد الجغرافي اقل تأثيرا في اقامة واستمرار العلاقة عبر الحدود والمسافات ولكنها مع ذلك ظاهرة ديناميكية لها حركات ثلاث، الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال، واقتصاد السوق، وعولمة الانتاج عبر الشركات متعددة الجنسية[١٦].

ويرى احد الكتاب العرب بأن العولمة هي (اخر مراحل الرأسمالية وانها نهب منظم وقاس لثروات الشعوب فضلا عن تهديدها للهوية الثقافية والقومية)[١٧]. وهذا الرأي يتفق مع ما اشار اليه المفكر الفرنسي روجيه جارودي من ان العولمة هي (وجه اخر للاستعمار... وان مايفعله الامريكان هو تذويب لثقافات الشعوب الاخرى مع تعريتها لانه مجتمع لاثقافة له)[١٨].

ويقترب من هذا الرأي ايضا الدكتور مسعود ظاهر عندما يعتمد على تحليل المضمون الواقعي لظاهرة العولمة فيرى بأن (نظرية العولمة ليست سوى الوجه الاخر للهيمنة الامبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الامريكية)[١٩].

ويؤكد باحث اخر على ان العولمة انما هي (نمط سياسي اقتصادي ثقافي نموذج غربي متطور خرج بتجربته على حدوده لعولمة الاخر، بهدف تحقيق اهداف وغايات فرضها التطور المعاصر)[٢٠].

وفي لقاء مع نادية مصطفى في مجلة المجتمع نجدها وقد اعتبرت العولمة ماهي الا (عملية تقودها القوى الفاعلة المؤثرة في النظام العالمي حاليا، من اجل ترويج قيم وسلوكيات وسياسات ومفاهيم النموذج الغربي الرأسمالي الليبرالي بأبعاده السياسية

---

[١٤] سيف علي الجروان، العولمة الاقتصادية واختراقها الحدود القومية للدول، المنتدى، العدد ١٠٠، ١٩٩٨، ص١٠.

[١٥] بركات محمد مراد، المصدر السابق، ص٢٣.

[١٦] فريدة النقاش، تحليل كتاب الوطنية في عالم بلا هوية، جريدة العرب، لندن، العدد ٥٨٤٣، في ٢٠٠٠/٣/٢٨ نقلا عن حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص١٤.

[١٧] حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص١٤.

[١٨] جريدة الثورة، العدد ١٠١٥١، في ٢٠٠٠/١١/١٦؛ نقلا عن المصدر نفسه، ص١٤.

[١٩] محمد علي عيد، العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢١، ١٩٩٧، ص٢٨.

[٢٠] محمد عثمان، العولمة والثقافة، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، كانون الاول ١٩٩٩، ص٥.

الثلاث، بمعنى قيم التحول الديمقراطي وقيم حقوق الانسان في المنظومة الغربية، والاقتصادية بمعنى النتاج الاقتصادي لتطور الرأسمالية وتداول مفاهيم مثل عالمية الاستثمار، وعالمية انتقال رؤوس الاموال وتحرير التجارة، ونقل التكنولوجيا، فهناك حالة من الانتشار الاقتصادي من مركز دولي معين الى سائر انحاء العالم على صعيد هذه المجالات الاقتصادية المختلفة، وهناك ثالثا البعد الثقافي الاجتماعي الذي اضحى الان المحور الاساسي لعملية التفاعل العالمي حيث يسعى النموذج الغربي المهيمن الى ان تصبح مفاهيمه وقيمه وسلوكياته هي القيم والمفاهيم والسلوكيات هي الشائعة والمنتشرة والمتبناة بلا منازع) [٢١]. ومثل هذه الابعاد الثلاثة انما تعبر عن مضمون العولمة الحقيقي او انها تجيب عن سؤال مهم ما الذي يتم عولمته، وهذا هو مايحصل الان في عالم اليوم.

ويرى الباحث من خلال مجموعة التعاريف السابقة بأن مفهوم العولمة غير واضح المعالم نظريا وعمليا، وانه ظهر بدايتا في مجال المال والتجارة والاقتصاد ومعنى ذلك سيادة الجانب الاقتصادي وتهميش الجانب السياسي والثقافي، ثم اتسع نطاق هذا المفهوم بعد ذلك ليشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصالات، وغيرها من الامور التي تتعلق باهتمامات دول العالم في عصرنا الراهن، وفي ضوء ذلك فاني ارى ضمن هذا الواقع بأن ظاهرة العولمة تعني: نظام عالمي شمولي لكافة نواحي الحياة البشرية، وهذا النظام يعتبر من مراحل تطور النظام الرأسمالي في العالم وبهذا المعنى توصف بكونها اعلى مراحل الامبريالية العالمية.

وبالرغم من اتفاق البعض واختلاف البعض الاخر في تحديد مفهوم العولمة الا اننا نجد ان جميع المختصين والباحثين لم يتفقوا على مثل هذا التحديد بشكله الدقيق والملائم لمفهوم ظاهرة العولمة، فجميع هذه التعاريف والرؤى التي اشرنا اليها انفا تختلف في ابعادها وتجلياتها ومؤشراتها ومازالت غير واضحة المعالم على المستوى النظري والعملي، بالرغم من كون هذه الظاهرة في الوقت الحاضر تلقي بضلالها على الواقع المعاش وبشكل مباشر في كافة نواحي الحياة البشرية وفي جميع انحاء العالم.

---

21 نادية مصطفى، فرق بين العالمية في الفكر الاسلامي والعولمة في الفكر الغربي (القاء في ندوة المجتمع)، العدد ١٣٢، ١٩٩٨؛ نقلا عن رعد كامل الحيالي، العولمة وخيارات المواجهة، شركة الخنساء، بغداد، ط٢، ٢٠٠٠، ص٩.

المبحث الثاني
مضامين وابعاد العولمة

ان الحقيقة القائمة كما اشرنا انفا، وهي ان ظاهرة العولمة اصبحت واقعا معاشا ويلقي بضلاله بكل قوة على كافة جوانب الحياة البشرية سواء الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية، ويبدو ان بداية هذه الظاهرة كان في مجال المال والتجارة والاقتصاد أي سيادة العنصر الاقتصادي وتهميش الجانب السياسي والثقافي ثم اتسع نطاق العولمة بعد ذلك حتى جرى الحديث عنها بوصفها نظاما او نسقا ذا ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، فهي الان نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال، كما يشمل مجال السياسة والفكر والايديولوجية، أي انها تعني جعل الشيء في مستوى عالمي أي نقله من المحدد الى اللامحدد الذي ينأى عن كل مراقبة، ومما ساعد على بروزها بهذا الحجم والانتشار هي التغيرات والتطورات الهائلة في مجال الاتصال والمعلومات الذي اعتبر احد المسببات الرئيسية في ظهور العولمة وجعلها تأخذ ابعادا واشكالا متعددة،وفي جميع الاحوال ولاجل فهم واستيعاب هذه الظاهرة بالقدر المناسب لابد من ان نتناول هذه الاشكال بكافة مضامينها وابعادها سواء اكان في شكلها الاقتصادي والسياسي والثقافي وسنتناولها تباعا وكما يلي:

اولا: العولمة الاقتصادية:

تتفق اغلب الدراسات المتعلقة بموضوع العولمة من ان اثارها وانعكاساتها تبدو اكثر وضوحا في الجانب الاقتصادي وبصورة مبكرة عن سواها من جوانب الحياة الاخرى وكما اشرنا الى ذلك قبل قليل، وذلك لما للجانب الاقتصادي من اثار بينية وسريعة في بنية المجتمعات وفي تأثيره المباشر على حياة الافراد، وتبدو هذه الاثار ايضا متداخلة ومتشابكة بحيث يصعب الفصل بينها او عزل تأثيراتها.

فلغة الاقتصاد والمصالح الاقتصادية هي لغة مشتركة بين جميع الامم والشعوب لذلك فأن مدخل العولمة هو مدخل اقتصادي خاصة ونحن نرى في عالم اليوم وجود واقعين، فالاول هو الواقع الرأسمالي الذي يمتلك عناصر القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والتقنية، ومثل هذا الواقع تقوده الولايات المتحدة الامريكية ومقابل ذلك واقع اخر يتمثل في واقع الدول النامية ومنها اقطار الوطن العربي وهي دول واقطار مهيئة ومنقادة بالنتيجة لهذا الواقع المقابل. لذا يسعى العالم الرأسمالي لابعاد هذه الدول عن تسخير ثرواتها لصالح مشاريعها الحضارية والتنموية وربطها بمشاريع الرأسمالية العالمية والابقاء على حالة التبعية[٢٢].وضمن هذا السياق استطاع بعض المختصين والدارسين ان يرى العولمة الاقتصادية من منظور معين وهي انها

---

[22] سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الاوسط، مفاهيم عصر قادم، مركز الدراسات الستراتيجية والبحوث، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٣٦.

(وصول نمط الانتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريبا الى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول الى عالمية دائرة الانتاج واعادة ذاتها. أي ان ظاهرة العولمة التي نشهدها هي بداية عولمة الانتاج والرأسمال الانتاجي، وقوى الانتاج الرأسمالية وبالتالي علاقات الانتاج الرأسمالية ايضا ونشرها في كل مكان مناسب وملائم خارج مجتمعات المركز الاصلي ودوله) [٢٣].

ويرى اخر بأنها (الانتقال التدريجي من الاقتصاد الدولي الى الاقتصاد العالمي أي الانتقال من الاقتصاد الدولي الذي تتكون خلاياه القاعدية من اقتصاد متمحور على الذات ومتنافس الى الاقتصاد العالمي المتميز ببروز نظام اقتصادي معولم انتاجيا وخدميا وتكنولوجيا وماليا ونقديا وتجاريا وصناعيا واستثماريا) [٢٤].

وهذا مايتضح عندما حاولت سيمون رايش تلخيص بعض مظاهر العولمة الاقتصادية بالقول (ان العولمة اتسمت عملياً بأنها سلسلة من الظواهر الاقتصادية في جوهرها تشمل تحرير الاسواق ورفع القيود عنها وخصخصة الاصول وتراجع وظائف الدولة ولاسيما مايتعلق منها بالرفاهية الاجتماعية وانتشار التقنية وتزايد الانتاج التصنيعي عبر الحدود والاستثمار الاجنبي المباشر، وتكامل اسواق رأس المال وتشير في قالبها الاقتصادي الاضيق الى انتشار المبيعات ومنشأت الانتاج وعمليات التصنيع على مستوى العالم والتي تعيد تقسيم العمل عالميا) [٢٥].

اما مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية(الانكتاد) فيرى في العولمة الاقتصادية بأنها (ظاهرة متعددة الوجوه تشمل ابرز مظاهرها النمو السريع في التجارة الدولية وتدفقات رؤوس الاموال وازدياد اهمية الخدمات في كل من التجارة والاستثمار الاجنبي المباشر على السواء، وتكامل عوامل الانتاج على الصعيد العالمي والتأثير المؤسس بين البلدان فيما يتعلق بسياسات التجارة والضرائب والاستثمار وسائر الانظمة الاقتصادية لتصبح العلاقات بين الامم تتكيف بشكل متزايد وفق المؤسسات المتعددة الاطراف لمنظمة التجارة الدولية والتجمعات الاقليمية) [٢٦].

وفي هذا الاتجاه نرى بأن العولمة الاقتصادية قد وجدت فرصتها لكي تتبلور في صيغة آليات وتسعى من خلالها لانتشارها وتحقيق اهدافها والتي تمثلت بالمؤسسات

---

23 صادق جلال العظم، ماهية العولمة، مجلة الطريق التونسية، العدد٤، تموز-اب ١٩٩٧، ص...

24 حميد الجميلي، استشراف مستقبل الاقتصاد العربي في ظل المتغيرات الدولية، بغداد، بيت الحكمة، ١٩٩٧، ص٢٦-٢٧.

25 ريتشارد هيجوت، العولمة والاقلمة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة محاضرات الامارات،٢٥، ابو ظبي، ١٩٩٨، ص٣٥؛ نقلا عن حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

26 عبد اللطيف هميم، العولمة وانعكاساتها على الدول العربية، مجلة كلية المعارف الجامعة، السنة الاولى ١٩٩٩، ص١٦١.

المالية والتجارية العالمية، والتي تبرز في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكما يوضح ذلك ايجانسيو رامونيت عندما يقول (لقد اقامت العولمة دولتها الخاصة بها، وهي دولة فوق الاوطان. تمتلك الالات والشبكات والوسائل الخاصة وشبكات العولمة مكونة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي ومنظمة التجارة العالمية) [٢٧].وفي نفس هذا الوقت فقد عرفها الدكتور محمد الاطرش بأنها (تعني بشكل عام اندماج اسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقائها ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وان العنصر الاساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات) [٢٨]. فمثل هذه المؤسسات كانت قد فرضت وجودها ونفوذها وشروطها ، فأصبح الغرب من خلالها يروج لمصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الاخرى السياسات الاقتصادية التي يعتقد بانها مناسبة[٢٩]. حيث تظهر لنا الهيمنة الساحقة للدول الرأسمالية في هذا المجال التي تمثلت في دعم الرأسمالية وتعميق التبعية الاقتصادية والسياسية للدول النامية، وعلى وجه الخصوص اقطار الوطن العربي.

ثانيا: العولمة السياسية:

سنحاول في هذا المجال التطرق الى مايعنية مفهوم العولمة السياسية وهو انه كيف تبلور مثل هذا المفهوم في ضوء مآل اليه الوضع الدولي الراهن الذي اتسم بهيمنة القطب الواحد على الساحة الدولية، والمتمثل بالولايات المتحدة الامريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية في اوربا الشرقية. مع بدايات عقد التسعينات من القرن المنصرم. ذلك لان انهيار احد طرفي التوازن الدولي قد ادى الى استفادة الطرف الاخر وانفراده في مجال القوة والثراء[٣٠]. مما يعني قيام هذا الطرف المهيمن الى دعوته بتغليب فلسفته السياسية ومايريده من اتساع اجواء الديمقراطية والحريات الفردية بحيث تتوافق مع توجهاته الفكرية ومحاولته لجعل هذه التوجهات تشمل كافة انحاء العالم، وان ذلك لايتم الا بأعلان الانفتاح السياسي واقامة الأسواق الحرة واقرار مشروع التعددية السياسية وحرية الفكر والرأي واقامة البرلمانات الحرة

---

[27] حاجم الحسني، العولمة ماذا والى اين، دار السلام، العدد ١٢٣، تشرين الاول ١٩٩٨؛ نقلا عن رعد كامل الحيالي، المصدر السابق، ص١١.

[28] محمد الاطرش، العرب والعولمة، مالعمل، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٩، ١٩٩٩، ص١١٠.

[29] صمونيل هنتغون، الاسلام والغرب، افاق الصدى، ترجمة مجدي شرش، ط١، ١٩٩٥، ص٤٢.

[30] رجاء ابراهيم سليم، النظام العالمي الجديد وانعكاساته على افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٧، ن ك٢، ١٩٩٢، ص١٨٤.

وغيرها من الامور والاجراءات والتصرفات التي تنسجم مع النموذج الغربي بكافة تفاصيله[٣١]. فمثل هذه المستجدات العالمية الجديدة التي برزت خلال عقد التسعينات تضع الدول امام تحديات خطيرة، فمع تزايد الاندفاع من اجل خلق عالم بلا حدود اقتصادية وبلا حدود ثقافية، يتجه الى خلق عالم بلا حدود سياسية وهو الخطوة القادمة الذي تحاول القوى المستفيدة منه وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية بأن تصور ذلك على انه تطور حتمي للاوضاع الدولية الجديدة.

فلم تعد الدولة القومية في ظل هذه الاوضاع بالقدر الذي تستطيع فيه من خلال الاختراق، ولم تعد هي صاحبة القرار فيما يتعلق بشؤونها الداخلية او سياستها المحلية[٣٢].

ولقد برزت خلال هذه الحقبة من تاريخ العالم الجديد مع بدايات القرن الحادي والعشرين ايضا قضايا عالمية مهمة مثل قضايا الديمقراطية، وحقوق الانسان والبيئة والتلوث ومشاكل الانفجار السكاني وازدياد نسبة الفقر وانتشار الجريمة والمخدرات وتنامي ظاهرة الارهاب، مما حدى بمروجي العولمة على ان مثل هذه القضايا لايمكن حلها من خلال الدولة القومية منفردة بل تحتاج الى جهود دولية واستجابات دولية جماعية لحلها، ويقوم الغرب بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على تشجيع قيم الديمقراطية في الدول التي لاتخضع لسيطرتها، حتى يتمكنوا من انتزاعها من قوى اخرى منافسة لهم او مناوئة، الا اننا نجد بأنهم لايشجعون على التحول الديمقراطي في الدول التي تخضع لنفوذهم وسيطرتهم[٣٣]. وبذلك نرى بأن مثل هذا التصور السائد في الغرب الحديث الذي يتظاهر بالسعي الدئوب من اجل تصحيح الديمقراطية والليبرالية وهما دعامتا العولمة، وهو نفس التصور الذي تسعى من خلاله الولايات المتحدة الامريكية الى فرض قناعة تامة لدى شعوب العالم بأنه لاجل ان ينجح عمل الديمقراطية في الدولة لابد ان يتناسى جميع مواطنوا الدول الديمقراطية جميع القيم الموروثة في مجتمعاتهم وان يأخذوا باساليب جديدة في الحياة[٣٤].

اذن فالعولمة السياسية تعني كما يذكر ذلك السيد يسين (بأن نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية وما يتمتع ذلك من رفض وانهاء السلطوية والشمولية في

---

31 خالد سعيد توفيق، العالم الثالث وقضايا حقوق الانسان في ظل الوضع الدولي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ايلول ٢٠٠٠، ص٧٤.

32 عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، المجلد ٣٤٣٨، تشرين الاول ١٩٩٩، ص٨٢.

33 برهان غليون، ومجموعة باحثين، حول الخيار الديمقراطي، دراسات نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، لبنان، حزيران ١٩٩٤، ص١١٦.

34 فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق حسن الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص٩.

التعددية السياسية والالتزام بحقوق الانسان وكذلك استخدام الامم المتحدة لحماية حقوق الانسان في العالم والحماية الدولية للاقليات والتدخل الدولي والانساني وغيرها من اليات مايعرف بالنظام الدولي الجديد)[٣٥].

ويرى اخرون بأن العولمة السياسية في مضامينها وابعادها تعني التحرر من قيود الدولة والديمقراطية، وهو محاربة القيم الوطنية ومحاربة الارهاب وتقسيم الدول الى دويلات صغيرة او تكوينات سياسية هشة لتحويل تلك الدول الى الذيلية والهامشية في الحاقها[٣٦]. وعلى هذا الاساس فأن العولمة السياسية بصورتها الواضحة تقوم على فرض القيم السياسية الامريكية مثل: التحرر من قيود الدولة القومية والتطلع الى افاق العالمية بكل مايتضمنه ذلك من حقوق الانسان كما تفهمها الولايات المتحدة الامريكية والديمقراطية السوق ومحاربة القيم الوطنية والعرقية. وبأختصار شديد تحويل العالم الى مجتمع عالمي تسوده قيم ومبادئ موحدة على حساب الهوية الوطنية والتنوع الثقافي والتعدد الحضاري للشعوب، وهذا مما يؤدي الى تقليص وفقدان الدولة بكثير من سيادتها الوطنية من خلال تفتيت تدريجي للوحدات والتكوينات السياسية وتحويلها الى دويلات صغيرة وضعيفة، وبذلك يصبح ماجرى تلقائيا سواء اكان مباشرا او غير مباشر في بنية الانظمة السياسية والاجتماعية[٣٧].

نخلص من ذلك كله في تحديد مفهوم العولمة السياسية الى ان الدولة ضمن هذا المفهوم لاتعد تتمتع بالسيادة المطلقة ولابالحرية التامة في اتخاذ قراراتها الداخلية وتسيير شؤونها المحلية من خلال مؤسساتها الوطنية وهذا يعد خطوة مهمة في تحقيق العولمة السياسية وسيطرة النموذج الرأسمالي على العالم وتشكيل نظام عالمي جديد احادي القطبية تتولى الولايات المتحدة الامريكية زعامته.

ثالثا: العولمة الثقافية :

من الواضح والمعروف ان مسألة الثقافة العالمية بمفهومها الارحب تعني توسيع المدارك وتعميق الوعي بضرورة التعايش والحوار بين الامم والشعوب فمثلما لنا الحق في حرية الاعتقاد وخصوصية الهوية والاعتزاز بالحضارة والتاريخ، فللشعوب معتقداتها وحضارتها وتاريخها، فلا سبيل اذن الا بحوار الحضارات والانفتاح الفكري والثقافي بين الامم، وان التنوع الثقافي في عالم اليوم اصبح قاعدة من قواعد القانون الدولي استنادا الى ميثاق الامم المتحدة والعهود والاتفاقات الدولية التي تحكم علاقات

---

[٣٥] السيد يسين، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨، ص١٤.

[٣٦] محمد سعيد سماحة، العولمة الامريكية والعولمة البديلة، مجلة النور، السنة التاسعة، ١٩٩٨، ص٢٢.

[٣٧] المحامي حسن حافظ، العولمة... والخيارات الاخرى، جريدة التآخي العراقية، العدد٤٦٧٥، في ٢٠٠٦/١/٢٥.

التعاون الثقافي لكل شعب من شعوب العالم وابراز للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الانسانية القائمة على وحدة الجنس البشري ووحدة الصفات المشتركة التي اودعها الخالق في الطبيعة الانسانية. فطالما اصبحت الهوية بهذا الرسوخ في طبائع الامم والشعوب فلا مجال هنا الى تجاوزها او محوها او انصهارها في بوتقة هوية واحدة ومسيطرة مهما تكن الذرائع والدوافع والاسباب، فليس مثل هذا الموضوع خروج على طبيعة الاشياء وتمرد على سنن الفطرة فحسب، بل انها محاولة مكشوفة وواضحة باتجاه الغاء هويات الشعوب، وفي مثل هذه الحالة اخذت في وقتنا الحاضر تتخذ شكل وصورة الهيمنة الاستعمارية على المستوى الثقافي والفكري والاعلامي، وهذا الاستعمار بما لايقبل الشك يعتبر اسوء اشكال الاستعمار.

وهذه الامور تعتبر بلا شك من اهم سمات العولمة الثقافية الاحادية المصدر وهي التي من خلالها تقوم الولايات المتحدة الامريكية في الوقت الحاضر بغزو العالم لاجل خلق قيم ثقافية وانماط وسلوك بعيدة كل البعد عن القيم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات المعولمة، وبالتالي تشويش الشخصية الثقافية وزعزعة الانتماء الوطني وتركيز اهتمام ووعي الانسان من المجال العالمي، ففي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشر وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية التي ربما ستحل تدريجيا محل الولاءات والانتماءات الوطنية[٣٩]. فالعولمة الثقافية بهذا الاتجاه تعني انفتاح الحضارات والثقافات العالمية على بعضها البعض بشكل حر ومن قيود او حواجز وتحقيق حالة من التنوع الثقافي القائمة على حرية انتقال القيم والثقافات والافكار والقناعات مستفيدة من التطورات العلمية الهائلة في مجال الاتصال والمعلومات وبشكل يوحد الرؤيا العالمية، تجاه مشاكل العالم وقضاياه المشتركة. فالذي يحصل في عالم اليوم هو توجه ثقافة واحدة نحو الهيمنة على سائر الثقافات الاخرى وهذه الثقافة كما هو واضح وجلي هي الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية التي تمثلها وتحتل لواءها الولايات المتحدة الامريكية وتسعى لتحقيق ذلك من خلال استغلال التطور الهائل والكبير في مجال الاتصال والمعلومات، فمن خلال شبكة المعلومات (الانترنيت) ومن خلال المحطات الفضائية المرئية والمسموعة استطاعت الثقافة الاستهلاكية ان تحقق اكبر انتصاراتها في هذا العصر، ورغم ان هذه الثقافة ليست جديدة الا انها اصبحت منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي اكثر رواجا ودخل العالم مرحلة عالمية الثقافة الاستهلاكية والشبابية.

وهذا مايجعلنا نعتبر ان العولمة الثقافية اليوم ماهي الا هيمنة الثقافة والقيم الامريكية كتعبير عن وضع النظام الدولي الجديد، او بتعبير ادق نشر القيم والمعايير

---

38 جواد مرسي، الرأسمالية نفسها، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠، ص٤٠.

39 عبد الخالق عبد الله، المصدر السابق، ص٧٧.

الامريكية كنموذج كوني، قد ترتب على ثورة المعلومات وتقنيات الاعلام والمعرفة وبالتالي الهيمنة الاعلامية الامريكية، جعل هذا النموذج الامريكي يحل محل حضارات العالم ويشكل نوعا جديدا من الايديولوجية يجري تداوله من قبل جميع الشعوب[٤٠].

وبهذا فأن نشر ثقافات الغرب في تلك الدول يتم بهذا الاسلوب حيث نرى بأن وسائل الاعلام العاملة ضمن النظام العالمي الحالي تساهم في جعل الثقافة الوطنية غربية في بلدها، ويتم ذلك ضمن مايسمى (بعملية التحديث) ومن خلال تقنين الثقافة واهتماماتها فنرى الثقافات الشعبية الغربية تمتزج بثقافات الشعوب الشعبية بل وتبتلعها في بعض الاحيان[٤١].

ويتضح لنا من خلال ذلك كله ان مستقبل الكون اصبح مرهون بعولمة العالم، وهي الصيغة الاستعمارية الجديدة التي تقوم على عدم احترام الانسان ونفي جذوره وحضارته وموارده وتجاربه وثقافته.

المبحث الثالث
ظاهرة العولمة وانعكاساتها على اوضاع اقطار الوطن العربي

---

[40] باسيل يوسف، حقوق الانسان بين العالمية والانسانية والعولمة السياسية، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٠، السنة الثانية، ١٩٩٧، ص٢٦.

[41] عبد الستار الراوي، العولمة الفردوس وجحيم الواقع، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٠، السنة الثانية، ١٩٩٧، ص٣٢.

في جوانبها المختلفة

من الواضح والمعلوم ان الوطن العربي بمجموعه يعتبر اولى الاوطان المستهدفة في مبادئه وقيمه وتقاليده ووجوده الحضاري من قبل مايسمى بالنظام الدولي الجديد والمتمثل بظاهرة العولمة الذي ترعاه وتعمل على الترويج له الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية،ذلك ان الوطن العربي يعتبر الفريد من نوعه في العالم بأمتلاكه البديل القادر على المنافسة لهذا النظام الذي تريد الولايات المتحدة الامريكية من خلاله السيطرة الكاملة على مقدرات هذا الكون.

فالبحث في موضوع ظاهرة العولمة وانعكاساتها المختلفة والمتباينة على اوضاع دول العالم بشكل عام وعلى اوضاع اقطار الوطن العربي بشكل خاص وهو موضوع البحث الرئيس انما يتطلب في هذا المجال ان نتناول الجوانب المختلفة لهذه الظاهرة كل على حدة سواء التي تظهر في الجانب الاقتصادي والسياسي والثقافي، ذلك لصعوبة التعامل معه بكافة هذه التفاصيل لكون جميع شؤون الحياة كلا موحدا ومتكاملا تتبادل عناصرها بالتأثير والتأثر، هذا من جانب ومن جانب اخر ان العولمة كظاهرة تمثل تيارا خارقا يتعدى حدود تقسيم طبيعة الحياة البشرية الى امور وجوانب مختلفة وهي الاساس في اهدافها، حتى وان ادعى البعض بأن اهدافها تقتصر على الجانب الاقتصادي فأنها قد باتت في اطار تطبيقاتها حتى الوقت الحاضر تتجاوز الى العمل من اجل تغيير حياة العالم بكل جوانبه المختلفة، حيث تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من تسخير جميع التطورات التي حصلت في المجال التكنولوجي والتقني وفي مجال الاتصالات والمعلومات والكومبيوتر للسيطرة على شؤون العالم الاقتصادية والسياسية والثقافية بأسم العولمة، لذلك سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على طبيعة انعكاسات مضامين وابعاد ظاهرة العولمة بجوانبها المختلفة على اوضاع اقطار الوطن العربي وهي كما يلي:

اولا: الجانب الاقتصادي :

ان اغلب الدراسات تكاد تتفق بأن الجانب الاقتصادي يكون اكثر وضوحا وبشكل مبكر عن سواه من مضامين وابعاد العولمة في جوانبها الاخرى في انعكاساتها وتأثيرها، وذلك ماللجانب الاقتصادي من اثار بينية وسريعة في بنية المجتمعات الانسانية وفي تأثيره المباشر على حياة الافراد، وحسبما ذكرنا في ثنايا البحث ان الاتجاه نحو العولمة وفرضها على الجميع انما اصبح يمثل سياسات دول وحكومات وشركات غنية وقوية لها مصالح كبيرة تحددها بنفسها دون النظر الى انعكاساتها على غيرها من الدول والحكومات والذي جاء كما هو معلوم نتيجة التطورات التكنولوجية والعلمية الهائلة على مختلف الاصعدة والمستويات حيث تشعبت هذه التطورات الى مجموعة من الثورات فكانت هناك الثورة الالكترونية الدقيقة وتكنولوجيتها في

الاتصالات والمواصلات والصناعة وثورة المعلومات التي اخذت تغير المعطيات الاساسية للحياة والبنية الاقتصادية على وجه الخصوص وفي شتى المجالات الاخرى سواء اكان هذا في المجال المعرفي والعلمي والمعلوماتي، وكذلك ايضا الثورة البايولوجية وثورة المكونات الوراثيـــة[٤٢].

ولما كانت اقطار الوطن العربي تعتبر جزء حيوي ومهم غاية الاهمية في هذا العالم تتأثر به ويؤثر فيها وتتفاعل معه، فأننا نجد والحالة هذه ان انعكاسات ظاهرة العولمة بجانبها الاقتصادي وتحديدا على اقتصادات الدول النامية التي شأنها شأن غيرها من اقتصادات الدول النامية وحتى الاقتصادات المتحولة ستكون غير قادرة بالابتعاد عن هذه الظاهرة، حيث ان الدول الرأسمالية قد اتخذت من الشركات المتعددة الجنسيات اداة اساسية في عملية تعميم وتنفيذ عولمتها الاقتصادية من خلال سيطرة هذه الشركات على اقتصاديات دول العالم بعد ان منحتها سلطات غير محدودة في هذا المجال، وقد ساعدت هذه السيطرة التطورات التكنولوجية والعلمية التي برزت بشكل كبير في مجالات الحياة كافة الى زيادة حجم التجارة العالمية وقامت بالتهيئة لتحقيق سوقا عالمية موحدة تتوافر فيها جميع المنتوجات المختلفة والمتنوعة ومن ثم سهلت انتقال عوامل انتاجها بين الدول بنفس السهولة التي تنتقل بها سلعها عالميا[٤٣].

وبذلك يتبين ان العولمة من جانبها الاقتصادي تعتمد وتبشر بمبادئها ونظامها ثلاث قوى عالمية رئيسية مهيمنة على انتاج واستهلاك معظم موارد ومؤسسات النظام الاقتصادي الدولي الحالي هذه القوى هي: حكومات الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والشركات المتعددة الجنسيات وغير الوطنية ومؤسسات التحويل والتجارة الدولية متعددة الاطراف وهي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية[٤٤].

اذن والحالة هذه اصبحت الشركات الرأسمالية فوق القومية تشكل العنصر الاساس في مجال تحقيق العولمة من جانبها الاقتصادي، لكونها تعتبر من الشركات الضخمة والقادرة على الحد من سياسة الدول لانها تستطيع نقل فروعها من دولة الى اخرى بحيث تؤثر على الدولة التي تنتقل اليها فتشكل رادعا للدولة المضيفة بحيث تمثل دور الشرطي الذي يؤمن التزام الدولة المضيفة للاستثمارات والتوظيفات الى بلدان اخرى وهذا مما يؤدي الى انخفاض اسعار العملات والاسهم والسندات في الدولة

---

[٤٢] شكر محمد ذياب، ما العولمة، محاولة متواضعة لفهم العولمة، بغداد، مطبعة السندباد، ٢٠٠٤، ص٢٧.

[٤٣] المصدر نفسه، ص٣٨.

[٤٤] فائق علي عبد الرسول، نحو اطار عام لستراتيجية التعامل مع المعلومة الاقتصادية، ص١١٧؛ نقلا عن مجلة الدليل، العدد الاول، السنة الاولى، مطبعة المعارف، بغداد،ص١٥.

المضيفة وحدوث افلاسات عديدة، فأنعكاسات مثل هذا الوضع سيؤدي الى ان تكون اقطار الوطن العربي امام ظاهرة جديدة وهي ان تحل الشركات المتعددة الجنسيات فيها محل الدولة القومية تدريجيا حيث تسعى هذه الشركات العملاقة الى تحطيم الولاءات القديمة وابعاد اقطار الوطن العربي عن الولاء بعضها للبعض الاخر، ويتم ذلك من خلال مساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها من المؤسسات المالية المختلفة في الدول الرأسمالية، فالنظرة لهذه الشركات على انها تستثمر اموالها في هذه الاقطار تعتبر نظرة خاطئة، فهي في هذا الاستثمار انما تمتص اموالها عندما يتم فسح المجال امامها للعمل فيها، واوضح مثال على ذلك عندما نعلم بأن مصر وحدها تستثمر (١٠٠) مليون دولار في مثل هذه الشركات[٤٥].

يتضح من ذلك ان هذا المستوى من النشاط الاستثماري في اقطار الوطن العربي بصفة خاصة والدول النامية بصفة عامة الذي تقوم فيه الشركات الكبرى عبر الوطنية يعمل بأتجاه تحويل الجزء الكبير من ثمار النمو الاقتصادي فيها الى الدول الرأسمالية من خلال الارباح التي تحققها هذه الشركات نتيجة عملياتها الاستثمارية والانتاجية والتسويقية[٤٦].

وبهذا نجد ان ارتكاز الاقتصاد العالمي على مجموعة من الشركات التكنولوجية والمالية والشركات المتعددة الجنسيات ادى الى تحول مصادر القوة المالية من الدول الى مجموعة من الشركات واسواق المال ومن ثم تحقيق الارباح الخيالية فوق ارادة الحكومات والمؤسسات الاقتصادية والمالية[٤٧].

فأقطار الوطن العربي التي اصبحت في عالم اليوم تتجه نحو العولمة الاقتصادية سوف تتعرض الى الكثير من الضغوط والتأثيرات السياسية من الدول الرأسمالية الكبرى لاجل ضمان مصالحها الاساسية والمتمثلة بمصالح الشركات عبر الوطنية وبالتالي الى تحديد سيطرة الاقطار المضيفة للاستثمارات ودورها في تسيير اقتصاداتها الوطنية في تقديم الدعم للقطاعات المواكبة للنمو والفئات المتضررة من اعتماد سياسة الانفتاح على الخارج ومن ثم السير على وفي الية السوق في الداخل هذا من جانب ومن جانب اخر فأن مايمليه نظام العولمة بهذا المستوى من التأثير على هذه الاقطار سيؤدي بلا شك مع مرور الوقت الى فقدان استقلالها واستقرارها

---

45 مصطفى محمود الطحان، العولمة واعادة صياغة العالم، المجتمع، العدد ١٣٠٧، ١٩٩٨، ص١٠.

46 فائق علي عبد الرسول، المصدر السابق، ص١٢.

47 معالي فهمي حيدر، العولمة وتأثيرها على الموارد البشرية، بحث مقدم الى مؤتمر الاتجاهات الحديثة في ادارة الاعمال، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥.

48 المصدر نفسه، ص١٥.

الاقتصادي وذلك بخضوع جميع المؤشرات الاقتصادية الرئيسية الى التقلبات والتأثيرات الخارجية التي تتمثل في تدفق الاموال والمضاربات والاستثمارات الاجنبية بقوة وفي تدخل حكومات الدول الرأسمالية المتقدمة، وان كل ذلك يجري من اجل ضمان استثمارات رعاياها في الاقطار المضيفة لهذه الاستثمارات[٤٩].

وفي ذلك كله نجد بأن ارتباط اقطار الوطن العربي بظاهرة العولمة الاقتصادية سينجم عنه اثار وانعكاسات خطيرة جدا وسلبية في مجال سياساتها الاقتصادية العامة عندما يترتب عليها الاندماج في هذه الظاهرة، حيث ان هذا المستوى من الاندماج يكون مشوها، لانه يقوم على اساس التطور غير المتكافئ بين طرفي العملية، وهذا مايظهر من خلال الاعتماد المتزايد لهذه الاقطار على التجارة الخارجية وازدياد اندماجها في الاسواق الرأسمالية للسلع والخدمات ورأس المال بما في ذلك الاستثمارات والقروض والتسهيلات المصرفية، وان من يقوم بكل هذه الانشطة الاقتصادية هي الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات وقوانينها المفروضة على هذه الاقطار، ان هذه الشركات كما هو واضح ومعلوم تعتبر مؤسسات اقتصادية بارزة تسيطر على الاقتصاد العالمي سيطرة حقيقية وتقوم حكومات الدول الرأسمالية المتقدمة بمساعدة هذه الشركات على اختراق الاقتصاد العالمي والسيطرة عليه، وبهذا تصبح هذه القوى المحركة الرئيسية لظاهرة العولمة في جانبها الاقتصادي.

ثانيا: الجانب السياسي :

ان ظاهرة العولمة السياسية لاتقل خطورة عن انعكسات ظاهرة العولمة الاقتصادية على واقع اقطار الوطن العربي، ذلك لاننا نعلم بأن هذه الظاهرة ما هي الا مشروع مستقبلي لكون مضامينها وابعادها الجوهرية انما تعتبر مرحلة تطورية لاحقة لظاهرة العولمة الاقتصادية والثقافية التي سوف تؤدي الى قيام عالم بلا حدود ولاسياسة وهو الهدف النهائي لظاهرة العولمة السياسية.

فتحقيق العولمة الاقتصادية والثقافية سيسهل قيام عولمة سياسية التي في ظلها سيتغير مفهوم الدولة والسيادة، فالقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات ستنتقل عبر المجتمعات والقارات بأقل من القيود والضوابط متجاوزة بذلك الدول والحدود الجغرافية ، وبمرور الزمن سيتم الوصول الى الحكومة العالمية الواحدة[٥٠].

وهذا يعني ان قوة الدولة سوف تضعف وتفقد هيبتها وسيطرتها وبالتالي هشاشة تكوينها ومن ثم يجعلها عرضة للتغير والتبديل كلما تطلبت مصلحة الدول الامبريالية

---

49 فائق علي عبد الرسول، المصدر السابق، ص١٢.

50 عبد الخالق عبد الله، المصدر السابق، ص٨١.

في ذلك، وستصبح الدول تابعا في كل شيء تقريبا لمثل هذا النظام المعولم بكل اتجاهاته عندما ترضى بذلك[٥١].

وفي ظل هذا الواقع السياسي المعولم، تحاول الولايات المتحدة الامريكية وهذا مايجري في عالم اليوم فعلا من فرض قيمها السياسية والاجتماعية بحسب فهمها وتحديداتها لهذه القيم.مثل التحرر من قيود الدولة القومية والتطلع الى افاق العالمية بكل مايتضمنه ذلك من الدفاع عن حقوق الانسان واحترام مضامينها وديمقراطية السوق ومحاربة القيم الوطنية والعرقية والارهاب[٥٢].

ان هذه السياسة الامبريالية القائمة في عالم اليوم سوف تنعكس على اية دولة من دول العالم وبشكل خاص على اقطار الوطن العربي عندما تحاول الوقوف تجاه هذه السياسة مستقبلا، والتي تتحقق من خلال ظاهرة العولمة في جانبها السياسي.

وهكذا نرى ان مايسمى بالنظام الدولي الجديد او مايسمى بنظام العولمة في جانبه السياسي انما يجري نحو سياسة التفتيت التدريجي للوحدات والتكوينات السياسية وتحويلها الى كانتونات ودويلات صغيرة وضعيفة ليكون بالامكان السيطرة عليها وتوجيهها الوجهة التي تبتغيها الامبريالية العالمية، حتى يصبح ماجرى بشكل تلقائي سواء اكان ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة في بنية الانشطة السياسية والاجتماعية لاية دولة من دول العالم وبالاخص اقطار الوطن العربي[٥٣].

ومثل هذه السياسة تؤدي بالنتيجة الى الغاء سيادة الدول وانتهاك حدودها واستغلالها وسيكون تطبيق ذلك بأستخدام كافة انواع التدخل الاقتصادي والسياسي فيها، واعلان العداء لاية دولة تحاول الدفاع عن سيادتها ومصالحها القومية والوطنية وحتى اذا استدعى الامر اللجوء الى استخدام القوة بكافة اشكالها واساليبها، وهذا مانجده قد حصل في وقت سابق عندما شنت الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها عدوانها العسكري على العراق عام ١٩٩١ بعد دخوله الى الكويت في ١٩٩٠/٨/٢ وكذلك عندما قامت الولايات المتحدة الامريكية بأحتلال الصومال عام ١٩٩٤ لفرض سياستها الامبريالية عليه، واخيرا وليس اخرا عندما اعلنت ايضا الولايات المتحدة الامريكية والدول الحليفة معها الحرب على العراق مرة اخرى في ٢٠٠٣/٣/٢٠ ومن ثم احتلاله في ٢٠٠٣/٤/٩ بحجة امتلاكه لاسلحة الدمار الشامل، يبدو ان هذه التوجهات المعولمة في جانبها السياسي بأنها سوف تفرض طرازها على جميع دول العالم عموما واقطار الوطن العربي بشكل خاص، وبهذا تصبح عملية وضع السياسات

---

51 حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص٤٥.
52 رعد كامل الحيالي، المصدر السابق، ص١٠.
53 المحامي حسن حافظ، المصدر السابق، جريدة التآخي.

تحت مطرقة العولمة عملية مستحيلة، وهذا مايؤدي الى ضعف
الهذه الدول.

الدراسات والبحوث والتحليلات في مختلف ارجاء المعمورة في
تناول قضية الحفاظ على الثقافات الوطنية والقومية والدينية، لما قد
العولمة من اختراق لهذه الثقافات وتشويهها، بل قد تجعلها بأتجاه مغاير
وضمن هذا الاطار اثيرت عدة اطروحات، مثل اطروحة (الغزو الثقافي)
حيث اسهمت ظاهرة العولمة على الصعيد الثقافي الى جانب عوامل
اخرى في احياء الانتماءات الاولية والتحتية لبعض القوى والجماعات في
الدول النامية وخاصة في اقطار الوطن العربي، حتى ان بعض الجماعات
اقر توجسا وخشية على هويتها وخصوصيتها الثقافية والحضارية تحت
العولمة الثقافية، مما جعلها اكثر تشبثا بهوياتها الذاتية[٥٤].
العولمة تطمح بأن تظهر بمستوى عالمي وشامل، وحتى ما نجحت
اظهار نفسها ثقافات قومية انسانية، الغت ما عداها من الثقافات ..
على الظهور بهذا المظهر هو الرهان الاساس لعولمة الثقافة، لانه يؤكد
في نظر الجماعة التي تحملها والجماعات الاخرى[٥٥].
هو معروف وواضح ان انعكاسات ظاهرة العولمة لاتتوقف عن تكوين
اقتصادي عالمي، بل ادى الى تشكيل هذا النظام بأليانه المستحدثة الى نتائج
خطيرة، حيث غيرت هذه النتائج من طابع الشخصية القومية، عندما شكلت
الاعلام والاتصال تهديدا مباشرا للتعددية الثقافية وطمس الهويات الثقافية
وقد ساعد هذا النهج حالة الثقافة في بعض المجتمعات الانسانية الاقل تطورا،
في هذا المجال ان ثقافة اقطار الوطن العربي أي المقصود بها الثقافة العربية
تعاني من ازدواجية غير مستقرة نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها
وقيمها الحضارية... وبالنتيجة استمرار اعادة متواصلة ومتعاظمة للازدواجية
والفكر والسلوك[٥٦].

المصدر السابق، ص٣٥.
شيللر هربرت واخرون، اصوات متعددة وعالم اخر، منشورات اليونسكو، الشبكة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص٥٥٢؛ نقلا عن بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب
العربي، العدد ٨٦، الدوحة، ط١، كانون الثاني-شباط، ٢٠٠١، ص٨٦.
محمد سجدي حجازي،العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، عالم الفكر، تشرين الاول، ١٩٩٨،
المجلد ٢٧، ص١٤٢-١٤٣.

ومثل هذا الحال هو مانسميه بالاختراق الثقافي الذي يعتبر من ابرز واخطر الاساليب المتبعة من قبل قوى العولمة في صراعها مع الثقافة العربية الاسلامية. فنقل المعلومات عبر تقنيات المعرفة والاعلام والثقافة الحديثة انما القصد منه بث وتكريس مفاهيم جديدة في اوساط مثقفي اقطار الوطن العربي بشكل خاص ثم يتبعها نوع من مبرمج الى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الاساسية للثقافة العربية الاسلامية، بما يترتب على هذا المستوى من التوغل الى زعزعة القناعات بها والترويج لمبادئ ومفاهيم قوى عولمة الثقافة التي تقوم على اساس تعميم الثقافة الامريكية التي تستقر عقول المثقفين العرب . ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالقيم والمبادئ والاسس والمرتكزات الجوهرية التاريخية المتأصلة في الثقافة العربية الاسلامية[٥٧]. ويحصل كل ذلك من خلال ثورة الاتصالات التي مهدت لسرعة الاتصالات بين العالم اجمع في تبادل المعلومة عبر اجهزة الانترنيت التي تتصل بالاقمار الفضائية والقنوات الفضائية فمثل هذا الكم الهائل من المعلومات التي بات بالامكان الحصول عليها بكل سهولة ويسر والقدرة على التعامل للربط بين مختلف المعارف لاستنباط النتائج وتحليلها احدثت تغييرات وتحولات عميقة في انماط شعوب العالم واساليب تفكيرها وجعلت من هذا الكون (قرية صغيرة) حيث قربت المسافات بين الشعوب مما جعل الجميع يتطلع اليها ويسلمون لكل اطروحاتها في تقليد الغرب في كل مسارات الحياة والفكر والوجدان وبذلك اوجدت ثقافة جديدة تقوم على تدمير القيم وافساد الذمم والضمائر والمفاهيم والتقاليد وتضع مصالح الفرد فوق المجتمع، وخلق عصرا جديدا مفرغ من القيم والمبادئ الروحية[٥٨].

اذن والحالة هذه فقد انتقل مفهوم العولمة من الجانب الاقتصادي والسياسي الى الجانب الثقافي والاعلامي وحتى الادبي أي مايعرف ذلك الان (بالثقافة الشاملة) وكما يسمونه (بالقرية الصغيرة) او (المجتمع الكوني) الذي يكمن وراء انتشار الثقافة والتداخل الحضاري بين الشعوب بعد ان اصبحت المعلوماتية والانترنيت وتقنياتها المتطورة اهم مرتكزات العولمة.

ومايسمى اليوم بمصطلح (القرية الصغيرة) و (القرية العالمية) و(القرية الكونية العالمية)انما المقصود بها هو ان العالم لم يعد بكيانات مجتمعية مفصولة او معزولة عن بعضها البعض، وانما اصبح مترابطا بصورة عضوية، بحيث ان مايحدث في اي بقعة فيه يؤثر في جميع بقاعه الاخرى مهما تباعدت المسافات او تناثرت الثقافات وكأن وحدة المصير العالمي قد اصبحت حقيقة بالقوة نفسها التي تتحدث بها عن الوحدة

---

57 حيدر كمونه، دور المناهج الدراسية المعمارية في مواجهة مخاطر هيمنة فكر العولمة، جريدة التآخي، العدد ٤٥٦٩ في ٢٠٠٥/٩/٥.

58 شاكر محمد ذياب، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.

العضوية بقرية صغيرة، وها هي محطات التلفاز الكوكبية والصحافة الالكترونية وسوق الكتاب المنتشرة في مختلف بقاع العالم والحركة الدائبة على مدار الساعة، فكل ذلك شكل نزعة قوية ومستمرة لعولمة الثقافة[٥٩].

فأنعكاسات العولمة الثقافية على اقطار العالم ومنها اقطار الوطن العربي تكمن من خلال وعبر وسائل الاتصال والتواصل التكنولوجي والاعلامي في عالم اليوم وكما ذكرنا (قرية كونية) فموقع ودور الانترنيت والثورة المعلوماتية التي تتحكم في مسيرتها شبكات الاتصال والتواصل المتعددة الجنسية التي تعمل بالتنافس الحر في اغلبيتها هي شركات ذات جنسية امريكية، فنرى ان معظم القنوات التلفزيونية الامريكية تعمل على تمجيد العولمة في الفكر وتوحيد نمط العيش بالحث والاسلوب السايكولوجي المؤثر بوسيلتي الاغراء والاثارة، وفي طليعة الانتاج الامريكي كمادة وفكر ومنهج للطروحات الايديولوجية تتركز حول الديمقراطية والحرية الفردية ومعاداة الشعوب.

ولما كانت العولمة هي ظاهرة عالمية تستند على الاختراق القسري او في احسن احوالها الاختراق التلقائي من خلال وسائل الاتصال بكافة انواعها المسموعة والمقروءة والمرئية التي اشرنا اليها انفا، فأن عملية الاختراق الثقافي هي جزء لايتجزء من عملية الاختراق الكلي، وعلى هذا الاساس فأن عملية الاختراق الثقافي في ظل العولمة ليست عملية تفاعل حضاري مطلقا بل ان في واقعها وحقيقتها عملية قهر ومحو للثقافة الوطنية من خلال الثقافة الغازية المعولمة، ويبدو كل ذلك جليا عندما تقوم الدول المتقدمة بأحتكار للصناعات الثقافية، فمثل هذه الصناعات في الوقت الذي تعتبر غزوا اقتصاديا الا انها تشكل في نفس الوقت غزوا ثقافيا فكريا مبرمجا يتنشر بكل سرعة وقوة خاصة بين شريحة الشباب من خلال الافلام السينمائية والادوات الموسيقية واشرطة الكاسيت والفديو والاسطوانات والات التصوير بأختلاف انواعها والعاب الشباب والاطفال الالكترونية الى غير ذلك من مبتكرات الثقافة الاجنبية المعولمة والتي تجد كثيرا ما ترتكز على العنف واثارة الغرائز والشهوات والبطولات الفردية الغازية[٦٠].

وهنا نلاحظ بأن العولمة من خلال مضامينها وابعادها الثقافية بهذه الصورة انما تضع جميع اقطار العالم ومنها اقطار الوطن العربي بالذات امام تحديات جديدة وخطيرة تتصل بالتنشئة الاجتماعية والهوية الثقافية والوطنية، مما سيؤدي الى انعكاساتها المباشرة على كافة احوال هذه الاقطار سواء اكان ذلك بتغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة فيها الى اخرى مناقضة لها او متعارضة في نهجها، والعمل من

---

[٥٩] حفناوي بعلي، الادب المقارن والتوجه نحو العولمة، مجلة الجسرة، العدد٥، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣٣-٣٤؛ نقلا عن بركات محمد مراد، المصدر السابق، ص٨٦.

[٦٠] حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

خلال ذلك بكل تواصل على قطع صلة اجيالها الجديدة بماضيها وتراثها ودينها وبالتالي الى تدمير حضاراتها التي يتحتم عليها هنا التخلي عن بعض خصوصياتها الثقافية الوطنية ومن ثم تهديد تعدديتها الثقافية داخل كل قطر من اقطارها.

واخيرا لقد بات واضحا ومعلوما ان موضوع العولمة مع كل تجلياته وتداعياتها وانعكاساتها امرا مفروضا ومحتوما على الجميع، وذلك بالامتثال لكافة اطروحاتها في مسارات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الفكرية والوجدانية، بعد ان مكنتها التطورات التكنولوجية والعلمية المتواصلة من الانتشار السريع والموجه خاصة بعد التطورات والمتغيرات التي حصلت على الساحة الدولية والذي جعلها تبرز بشكل اقوى في بداية عقد التسعينات من القرن المنصرم نتيجة انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ونظم منظومة الدول الاشتراكية وزوال الصراع الايديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية، ثم اعقب ذلك هيمنة النظام الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على العالم والتحكم بمقدراته عن طريق ظاهرة العولمة، وفي ظل هذه الحالة التي يعيشها عالم اليوم اصبح الواقع المعولم هو القدر والمستقبل والمصير بأعتباره واقع اقتصادي وتكنولوجي متطور، لايمكن لاية دولة من دول العالم مهما بلغت من قدرة وامكانية تفاديه ومنعه، وان تعيش بمعزل عن هذا الواقع الاقتصادي العالمي الذي يتمثل بالعولمة ، وبهذا لايمكن رفض كل ماجاءت به العولمة بالانفلات على العالم، ذلك ان التطورات التكنولوجية والعلمية التي عرفها العالم خلال العقدين الاخيرين فاقت بأنجازاتها العلمية على ما انجز على مدى قرون عديدة، اذن فلابد من الاستفادة من هذه المنجزات العلمية، واذا ما حاولت بعض دول العالم وبالذات اقطار الوطن العربي التخلي عن مثل هذه التطورات التكنولوجية وعدم مواكبتها لها ستحكم بالنتيجة على نفسها بالتخلف والخضوع والتبعية، فتكنولوجيا العصر الراهن تعتبر الحلقة الحاسمة في سبيل تحقيق التقدم والرفاه لاقطارها في مختلف مناحي الحياة من اجل الخلاص من تخلفها ومن ثم تضييق الفجوة التاريخية التي تفصلها عن عالم اليوم، فالثورة التكنولوجية والعلمية في جميع تفاصيلها التي تشهدها المجتمعات الانسانية تشكل في حد ذاتها تحديا للانسانية جمعاء ولامجال هنا لاي دولة من دول العالم اذا ماتجاهلت هذا التحدي تصبح لامكانة لها في عالم اليوم وبشكل خاص في مجال ثورة المعلومات والاتصالات والمواصلات ومختلف الصناعات، والتي اخذت هذه المحاولات من تغيير المعطيات الاساسية للحياة والبنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وما من دولة في العالم وهذا لايفيد اقطار الوطن العربي ان تقدمت في عصرنا الراهن الا بعد ان نجحت في ترسيخ نسيجها الحضاري بالتطورات التكنولوجية وتحررت من كل الاغلال الفكرية التي حجبت عقله عن الابتكار، والتحفيز الى التقدم المطلوب، ومن غير المقبول ان تكون اقطار الوطن

العربي في موقف المتفرج دون المشاركة في سباق العصر والا تصبح هذه الأقطار غريبة عن احداث عصر التطور التكنولوجي والعلمي تسيرها الإحداث الى حيث تريد او لاتريد[٦١].

ومحصلة القول ان ظاهرة العولمة اصبحت واقعا ناتجا وقدرا محتوما والتي جاءت اساسا من التطور الطبيعي للحياة الإنسانية، وفي مثل هذا الامر نجد بأنه ليس كل ما جاءت به العولمة خيرا او شرا فيه الكثير من الخطورة على العالم فهناك ايجابياتها التي لا تتحقق الا بشروط معينة ولها سلبياتها التي يمكن تفاديها، ولمواجهة كل هذه الاوضاع التي يعيشها عالم اليوم بمناعة فكرية وعقلية لاجل ضمان مصالح اقطار الوطن العربي الحيوية والاساسية مع جميع دول العالم.

---

[٦١] شاكر محمد ذياب، المصدر السابق، ص٩٦-٩٧.

الخاتمة

لقد رأينا من خلال البحث كيف ان ظاهرة العولمة قد تبلورت افاقها وابعادها مع
القرن العشرين وبداية القرن الحالي، حيث مثلت احدى التحديات المباشرة التي فرضت
على دول العالم المتقدم منها والنامية في ظل مايسمى بالنظام الدولي الجديد الذي يعمل
اليات العولمة المختلفة سواء اكان ذلك في الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي
والثقافي، وبذلك شكل هذا التوجه اوسع عملية اختراق لكل البنى الحضارية والقومية في
العالم، وخاصة تلك الاقطار التي تمتلك ارثا حضاريا واقتدارا اقتصاديا وموقعا استراتيجيا
حيويا وفعالا، وهذه كلها تمثلت بأقطار الوطن العربي وقد وجدنا من هذا الجانب كيف
مضامين وابعاد العولمة المختلفة له انعكاساته المعينة على جميع اوضاع اقطار الوطن
العربي، ففي ظل العولمة الاقتصادية سوف تختفي جميع الخصوصيات والهويات الوطنية
وتكون هذه الاقطار مجرد مشروعات يتم بواسطتها تدمير السوق الوطني والقومي وكل
برامج النمو والتنمية وخصوصية كل قطر من هذه الاقطار الاقتصادية، ونهب كل ثرواتها
وخيراتها والتحكم بها من خلال اليات تفصيلية وفي ظل العولمة السياسية ستتيح للقوى
التحكم في مراكز القرار السياسي وصناعته في كل قطر من اقطار الوطن العربي خدمة
للاهداف الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وعلى حساب سيادة ومصالح
الاقطار وثرواتها الوطنية والقومية، ثم العمل على تفتيت كياناتها القومية وكل ذلك عبر
تخليها عن خصوصياتها الوطنية والقومية، واما في ظل العولمة الثقافية فقد وجدنا ان هناك
محاولات جادة ومتسارعة لعولمة العادات والتقاليد والاخلاق والافكار والغاء الخصوصيات
الثقافية لكل قطر من اقطار الوطن العربي من خلال عولمة جميع وسائل الاعلام وغيرها
الاحداث اثبتت كل ذلك بشكل حاسم بأن الولايات المتحدة الامريكية تسعى من خلال هذه
العولمة الى ابقاء نفوذها وتمركزها وسيطرتها في جميع المناطق الحيوية من العالم للحصول
على الامتيازات التي تحقق طموحاتها وتديم تفردها وهيمنتها على العالم، وانها تستخدم كل
الوسائل والسبل في سبيل تحقيق ذلك.

بالرغم من كل هذه الاوضاع التي سادت وتسود عالم اليوم من خلال افرازات ظاهرة
العولمة، لايعني الاستسلام الكلي لها، الا انه لابد من المشاركة فيها، من خلال تبني وملاحقة
جميع التطورات التكنولوجية والعلمية والتقنية والمعلوماتية والاتصالاتية واحراز التفوق فيها
من قبل اقطار الوطن العربي حتى لاتكون منعزلة عن بقية دول العالم ومن ثم تزداد الهوة
التكنولوجية بكافة تفاصيلها بينها وبينهم مع مرور الايام، وبذلك يقع على عاتق هذه الاقطار
في هذا الزمن التحرك في اطار الايجابيات التي تتمتع بها العولمة ومن ثم تحصين نفسها في
مواجهة سلبياتها، ذلك لان رفض مثل هذا الموقف سيضيع عليها فرصة الكينونة الخاصة بها
والذي سيسمح لها بوجود فاعل قائم خاص في المحافل الدولية، دون ان تبذل اية تضحية
بقيمها وتراثها ووجودها الحضاري والحفاظ على هويتها المحلية.